Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

الأريوسية الجديدة

وأبدية التدبير – ٢

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

www.coptology.org

الأريوسية الجديدة، وأبدية التدبير – ٢

اللوغوس خالق ومدبِّر الكون: التعليم الذي نسيناه

في كتابه ضد الوثنيين، يشرح المعلِّم السكندري أثناسيوس، كيف أن النظام الكوني وتعاقُب الفصول، واختلاف الطبائع، وعدم وجود تنافر، يستدعي وجود سيد للخليقة يحرك كل شيء (الفصول ٣٥ – ٣٨ من الرسالة ضد الوثنيين راجع ترجمة د. جوزيف فلتس ص ٩٩- ١٠٧).

غير أن الفصل ٤٠ له دلالات جديرة بالاهتمام، حيث يقول أثناسيوس:

"كل شيء خُلِقَ بقوة عاقلة (منطق) وحكمة ومهارة". لكن ذلك لا ينسبه أثناسيوس إلى قدرة طبيعة مودعة في الكائنات، يقول عنها تراثٌ عام في الثقافة اليونانية إنها قوة اللوغوس التي أعطاها اللوغوس لكل كائن، والتي عرفها الشهيد يوستينوس باسمٍ معروفٍ في تلك الحقبة من ثقافة عالمية غابت بعد ذلك، وهي "بذرة الكلمة" Σπερματικός Λόγος وهي حسب الفلسفة اليونانية قوة طبيعية، أمَّا حسب الآباء الذين قبلوا هذه الرؤيا، فهي ليست مجرد "بذرة"؛ لأن تعبير أثناسيوس يؤكد أن حياة الكائنات لا تأتي من "بذرة اللوغوس"؛ لأن أي طبيعة مخلوقة غير قادرة على البقاء بدون اللوغوس –ليس لها حياة أو وجود ذاتي– لأن كلمة الله الذاتي "حيٌّ فاعلٌ؛ لأنه كلمة الله الصالح .. الذي ينظم الكون وينيره حسب تدبيره" (الوثنيين ٤٠: ٤).

يتجلي **مبدأ التمييز** هنا بين الفلسفة الرواقية، بل مدارس الفلسفة اليونانية، وبين الآباء، في أنه لا يوجد وجود ذاتي للمخلوقات؛ لأن بذرة اللوغوس غير قادرة بذاتها كقوة غُرِسَت في الطبيعة أن تحفظ الكون، بل **الذي يحفظ الكون هو خالقه**؛ لأن الكلمة اللوغوس "رأى أن كل طبيعة خُلقت زائلة، وعُرضة للزوال (الانحلال) وفق قوانينها الخاصة بها، ولكن لكي لا تنتهي إلى العدم (الذي خُلِقَت منه)، ويزول (ينحل) الكون ويعود إلى العدم، فإن الكلمة اللوغوس لم يترك المخلوقات تنساق بضعف طبيعتها خشية أن

تتعرض لخطر العودة إلى العدم، لكنه –نظراً لصلاحه– فهو يحكم ويثبِّت كل الخليقة بواسطة كلمته الذي هو الله في ذاته، حتى أنها، وهي تستنير برعاية وتدبير وتنظيم الكلمة، يكون لها إمكانية الاستقرار (البقاء في الوجود)" (٤١: ٣).

ولكن يبقى **المبدأ الثاني** الهام الذي لا يجب أن ننساه، وهو أن اللوغوس أشرك ذاته بالمخلوقات έπιβέβηκεν والسبب الحقيقي لذلك هو أن تشترك الكائنات في اللوغوس "الكائن الحقيقي كلمة الآب، والذي منه تستمد وجودها حتى لا يصيبها ما كان ممكناً أن يحل بها، أي خشية أن تلقى مصير الفناء لولا بقاءها في الوجود بواسطة الكلمة ... فإنه به وفيه كل الأشياء كائنة" (٤١: ٢ – ٣).

إذن، الوجود والبقاء وعدم العودة إلى العدم ليس قدرة ذاتية في المخلوقات، بل تعود بشكل أساسي إلى **شركتها في الكلمة** لأنها كائنة وتبقى في البقاء بالقدرة العاقلة والحكمة والخصائص الخاصة بكل كائن التي λόγω και σοφια και επιστήμη أُعطيت بواسطة اللوغوس.

على أن الكينونة التي خُلِقَت وحُفِظَت بالشركة في القوة العاقلة للكلمة، ليست مثل وحدة جوهر الآب والابن. وهنا في الرسالة إلى الوثنيين نلمح باكورة التحديد الذي سد فم الأريوسية، أي *Homoousion* فقد جاء التمييز الدقيق في عبارةٍ هامةٍ نرى أنها لا يجب أن تغيب عن وعي الذين يحاربون الشركة في الحياة الأبدية للثالوث، إذ يميِّز القديس أثناسيوس بين شركة المخلوقات في اللوغوس ووحدة الآب والابن بأن:

+ "الابن الحقيقي هو قوة الآب وحكمته وكلمته" (٤٦: ٨). ولعل هذه العبارة تدعو المطران نفسه، ويترك الفصل بين القوة والأقنوم ليعود إلى الأرثوذكسية؛ لأنه يدافع عن سقطة كبرى لم يدرك أبعادها بعد.

+ "ليس عن طريق المشاركة ού κατά μετοχήν ταύ τα ών كأن هذه الخصائص أو الصفات قد اكتسبها من الخارج ούδέ εξωθεν έπιγινομένων كما هو الحال مع من يشتركون في طبيعته ويصيرون حكماء به وينالون منه قوة وتعقلاً" (٤٦: ٨).

+ لكن اللوغوس هو "الحكمة ذاتها والكلمة ذاته والقدرة ذاتها التي للآب". وقد

استخدم أثناسيوس الكلمة αυτο أي ما هو في الكيان أو الذات أو الكينونة. ويضع هذه الكلمة مع خصائص أو صفات الكلمة الأخرى: النور – الحق – البر، "ذاته"، وهو تعبير يخلع كل ما يقال عن عقاب الآب للابن لكي يعطي التبرير للخطاة، من جذره. ثم يختم قائلاً: "وبالإجمال هو قوة الآب الفائق الكمال، وهو وحده الابن الذي هو صورة الآب غير المتغير" (٤٦: ٨ راجع د. جوزيف فلتس ص ١٥٠–١٥١).

قبل ذلك قدَّم المعلم العظيم ثلاثة تشبيهات *Simile* تشرح علاقة اللوغوس بالكون: **الخورس** الذي يقوده قائد واحد، وبذلك يعزف كل كائن حسب قيادة القائد. **الحواس** التي تديرها النفس الإنسانية. **المدينة الواحدة** التي يحكمها شخص واحد (راجع ٣٨: ٤، ٤٣: ١–٣).

ويضع أثناسيوس **مبدأ التمييز** بين مَن له في كيانه القوة والحكمة والنور .... الخ ومَن يشترك فيها لأنه خُلِقَ من العدم، فيقول، حسب الدقة اللاهوتية: الله غير مركب، له وجوده أو بالحري كيانه الحقيقي ών ότι غير المركب من أجزاء، ولذلك، الكلمة أيضاً هو كائن حقيقي غير مركب من أجزاء؛ لأنه "هو الله الواحد الوحيد الجنس الصالح الذي وُلِدَ من الآب كما من ينبوع الصلاح" (٤١: ١ راجع ترجمة د. جوزيف فلتس ص ١٣١) وقد أضيفت بعض كلمات للتوضيح.

ولعل أقوى تعبير هو قوة الآب الذاتية αύτοδύναμις ίδια τού πατρός وهو ما ينفي كل ترهات الحلول المواهبي وما تفرَّع عنه. ولست أدري، ما إذا كان أصحاب هذه الترهات قد استلموا الطقس خلوّاً من الإيمان؛ لأن صلاة الصلح للبطريرك الأنبا ساويرس تقول: "أيها المسيح إلهنا القوة المخوفة الغير المفهومة التي لله الآب، الجالس فوق العرش .. وأنت نارٌ آكلة كإله، من أجل تنازلك الغير الموصوف ومحبتك للبشر لم تحرق الدافع الغاش (يهوذا) عندما دنا منك .."[1].

لقد جاءت الأريوسية الجديدة لوضع الله الثالوث تحت نظريات كلها إنتاج أريوسي، إذ وضعت هذه النظريات الشروط الواجب أن يتبعها الله نفسه:

---

(1) وهنا يجب أن نتذكر، ونذكِّر القراء بالثمن الغالي الذي دفعه د. مجدي وهبة (القس صموئيل وهبة)؛ لأنه أعاد ما استقر في تراثنا، وهو تناول يهوذا مع الرسل.

أولاً: وضعت الأريوسية الجديدة الله الثالوث تحت تصوُّر غير معلَن في الأسفار، ولا وجود له في التسليم الكنسي، حيث تم تفسير كلمة "فدية" على أنها ثمنٌ يُدفع. لكن مما سبق، نجد أن الخليقة كائنة ومستمرة في البقاء بشركة في اللوغوس، ورغم ما فيها، حُفِظَت من العدم؛ لأننا بعد سقوط آدم لازلنا في الوجود، ولنا بقاء، سواء كنا نؤمن أو لا نؤمن؛ لأن الله حَفِظَ لنا البقاء، لكي نُفتدى بعد ذلك.

ثانياً: عندما خُلِقَ الانسان، فقد خُلِقَ من العدم، لكن بإرادة أبدية لكي يبقى، وهي –أي هذه الإرادة– هي سرُّ بقاء الإنسان؛ لأن الإنسان قادرٌ على أن يقول: "أنا"، وهي الوعي بالوجود الذي أُعطي كهبة من الخالق الذي يقول: "أنا"، أو حسب تعبير القديس أثناسيوس في تجسُّد الكلمة إن الانسان خُلِقَ "في عدم فساد (الخلود حسب الصورة الإلهية) كان ممكناً أن يعيش منذ ذلك الحين مثل الله ώσ θεός - as God كما يشير الكتاب المقدس إلى ذلك حينما يقول: "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون" (مزمور ٨٢: ١–٧)" (فصل ٤).

هذه نعمة اللوغوس، أن نحيا حياةً إلهيةً (تجسد الكلمة ٥: ١).

ولكن عندما تستمر الدعوة طوال ٤٠ عاماً بأن المخلص يجب أن يكون "إنساناً"، فإن ذلك يُسقِط الخلاص برُمَّته؛ لأنه لا يكفي أن يكون المخلص إنساناً فقط، بل يجب أن يكون إلهاً متجسِّداً. ذلك ما يؤكده القديس أثناسيوس نفسه، والوجوبُ هنا ليس شرطاً وضعناه نحن من عقولنا وتصوراتنا، بل "لأنه بسبب صلاح أبيه ومحبته للبشر، ظهر لنا في جسد بشري لأجل خلاصنا" (تجسد الكلمة ١: ٤). ثم يضيف: "وهكذا يستطيع المرء أن يدرك أن تجديد الخليقة تم بواسطة الكلمة الذي هو خالق الخليقة في البدء .. لأن الآب أتم خلاص العالم بالكلمة الذي به خلق العالم" (١: ٤). وأيضاً: "نزوله إلينا كان بسببنا، وأن تعدينا استدعى تعطُّف الكلمة لكي يأتي الرب مسرعاً لمعونتنا ويظهر بين البشر" (٤: ٢).

وهنا يجب أن نلتفت وبشدة إلى أن الأريوسية القديمة والجديدة معاً لا تبشران بتجديد الكيان، بل بتحولٍ أخلاقي، بينما الأرثوذكسية ترى أن اللوغوس هو وحده الذي يرد الإنسان إلى حالة الوجود الإلهي، وأن يأتي بالفاسد إلى عدم الفساد (تجسد

الكلمة ٧: ٤-٥)، هو وحده القادر؛ لأنه الخالق الذي خلق مع الآب، ومع الآب يفتدي الخليقة من الموت.

خضوع أو عبودية الإنسان للفساد والموت:

لم أندهش لما تقدِّمه الأريوسية الجديدة من دفع ثمن وموت نيابي عن الخطاة، قام به المسيح، بينما أثناسيوس العظيم يرى أن محبة الآب للبشر أرسلت الابن وتجسد (٨: ٤). ويقول أثناسيوس عن موت الرب: "إن الجميع ماتوا فيه (المسيح)، فإنه يُبطِل عن البشر شريعة الموت والفناء؛ لأن سلطان الموت قد استُنفِذ في جسد الرب" (٨: ٤).

عندما ينكر المطران أننا نموت مع المسيح، بسبب تسلط فكرة الفدية المدفوعة لله الآب، وبحجة أننا لم نكن موجودين عندما صُلِبَ الرب، فهو ينكر كل ما ورد في (رو ٦: ١-١٤): مثل: "اعتمدنا ليسوع، اعتمدنا لموته"، "صرنا متحدين معه بشبه موته .."، والشِّبه يعني أن لا تُدق المسامير في أجسادنا، ولا أن نعلَّق على صلبان، بل أن نقبل موته فينا، و"نصير أيضاً بقيامته"، وهو اختبار بولس نفسه، أي اختباره الشخصي:"مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٣: ٢٠). كل هذه يُطوِّح بها المطران في بئر الإنكار؛ لأنه اعتنق عقيدة الكنيسة المشيخية التي أخذت تزيل الأسرار، وفي مقدمتها الكهنوت بعقيدة الكفارة ودفع الثمن ترضيةً لله الآب؛ لأن الخلاص تمَّ على الصليب، وما على الذين يسمعون هذا الخبر السار إلَّا الإيمان بما حدث في الماضي. وهكذا يقطع هذا التعليم الفاسد كل حضور سرائري للرب يسوع المسيح نفسه، بحجة أن الدم والجسد أُعطى للآب، وأن العشاء الرباني هو ذكرى لما حدث، لا اختباراً شخصياً سرائرياً مستعلَناً بالروح القدس. وبالتالي يظل كيان الإنسان خاضعٌ للفساد والموت، فحتى وإن تغيَّر عقله أو فكره، ولكن جسده وكيانه الإنساني ظل بلا تجديد؛ لأن الخدعة الكبرى هي أن الذي يؤمن يعتبر أن الإيمان، أي اعترافه هو بالإيمان، هو الميلاد من فوق، وهو ما يعني أننا أمام ولادة ذاتية، أي Self – born تنبع من ذات المؤمن، حيث يلد كلُّ مَن يؤمن ذاتَه من ذاتِه، وليس من الله الآب في يسوع المسيح.

علاقة الأريوسية الجديدة مع الأريوسية القديمة

تُرى هل ابتعدنا عن النقطة الأصلية التي سقط فيها المجمع -بعد أن خدعه مَن خدعه، سواء أكان الأنبا بيشوي، أم كان غيره- وقرأ عبارات مقطوعة عن سياقها من كتاب رسائل أبونا فليمون؟

أبداً. فالعلاقة بين الأريوسية الجديدة، والأريوسية القديمة هي علاقة ممتدة بين أريوس وتلاميذ مدرسته الذين -للأسف- ما زالوا يعيثون فساداً في التعليم. القصة القديمة تقول إن أريوس كان يجول في الأسفار المقدسة باحثاً عن نصوص وكلمات تؤيد فكره الملتوي الوثني، ووجد ضالته في نص السبعينية لسفر الأمثال ٨: ٢٢ "الرب خلقني أول طريقه"، وهو حديث الحكمة في كل الإصحاح. ولأنه يسعى خارج التسليم الكنسي، فَهِمَ أن الحكمة خُلِقَت، وإن الابن "حكمةُ الآب خُلِقَ في الزمان"، و"أنه كان هناك زمانٌ لم يكن للابن كيان"، أو "لم يكن موجوداً حتى خُلِق" .. إلى آخر ذلك من عبارات مسجعة في الأصل اليوناني، صِيغت في أشعارٍ شعبية عُرِفَت باسم "المأدبة" أو "الثاليا".

وكان يمكن لأثناسيوس أن يعود إلى الأصل العبراني، الذي هو "الرب قناني"، لكنه لم يُضِع أي وقت، أو جهد في ذلك؛ لأن في ذلك ضياعٌ للهدف. فشعب الكنيسة في الإسكندرية، رغم أنه كان يسكن في وسط أكبر جالية يهودية، إلَّا أن اللغة السائدة حتى بين يهود الإسكندرية، كانت هي اليونانية[١]، ولذلك كتب أثناسيوس الشرح اللاهوتي على أساس النص اليوناني، وهو "الرب خلقني". ولكنه يسأل: ألا توجد في الأسفار خليقة قديمة ذُكِرَت في سفر التكوين، وخليقة جديدة جاء بها التدبير في (٢كو ٥: ١٧): "إن كان أحدٌ في المسيح، فهو خليقة جديدة"؟ لكن متى بدأت الخليقة الجديدة؟ لقد استُعلِنَت في آدم الجديد، أو آدم الأخير (١كو ١٥: ٤٥-٤٦ وما بعده)، ورغم أنه ظهر في زماننا، إلَّا أن الأصل هو ما قبل الزمان؛ لأن رأس الخليقة الجديدة هو الكلمة اللوغوس. "البدء"، حسب الزمان هو موعد محدد فعلاً، وهو صواب، ولذلك لا

---

(١) ولذلك كتب فيلو الاسكندري كل مؤلفاته باللغة اليونانية.

يزال "البدءُ" هنا مغلقاً أمام الأريوسيين وشهود يهوه ومذاهب الإنجيليين؛ لأنه بدءٌ زمانيٌّ أغلقوا عليه إطار الزمان، وهو أمر مختلف عما يقوله يوحنا: "في البدء كان الكلمة"؛ لأن "البدء" هنا هو "الألف"، و"البدء" هو "الأصل" والبداية التي ليس لها بداية؛ لأنها لا تنتمي إلى ما خُلِقَ في الأيام الستة الأولى.

غير المصنوع بيد

"ختنتم ختاناً **غير مصنوعٍ بيد** ... بختان المسيح" (كولوسي ٢: ١١) ختان المسيح، وهو حسب (كولوسي ٢: ١١ وما بعده) هو المعمودية: "هي هبة الله الآب في المسيح بالروح القدس. وهي لم تكن مصنوعةً بيد، أي لم تُوهَب بواسطة بشرية، بل هي "من فوق"، ورغم أنها تتم في مياه مخلوقة، إلَّا أن حتى هذه لم يخلقها الإنسان. ورغم أنها تتم في الزمان، إلَّا أن الزمان انتهى دوره؛ لأنه قد "كَمُلَ الزمانُ بخبر الإنجيل" (مرقس ١: ١٥).

وإلى جوار هبة المعمودية غير المصنوعة بيد، هناك أيضاً "المسكن الأعظم والأكمل **غير المصنوع بيد** الذي ليس من هذه الخليقة" (عب ٨: ١١). والمسكن الأعظم والأكمل هو ناسوت الرب، حيث حلَّ الروح القدس لكي يكوِّن في أحشاء البتول، ذلك الجسد الإنساني الحقيقي المولود "من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم"، هو ليس ثمرة زواج؛ لأنه غير مصنوع بيد، بل كوَّنه الروح القدس.

وبالرغم من ذلك تطل علينا الأريوسية الجديدة بإنكار حلول أقنوم الروح القدس علينا، وهو إنكارٌ لحلول الروح القدس على الشعب والخبز والخمر في الخدمة الإلهية (القداس)؛ لأن كل شيء –حسب الأريوسية الجديدة– يتم في الزمان، بسلطان الأسقف الزماني، فهو الذي يقدِّس وليس الروح القدس. والروح حلَّ مرةً واحدةً على القديسة مريم، ولم يحل على الرسل في العنصرة؛ لأن الذي حلَّ عليهم هو طاقة أو قوة لا الأقنوم، وقياساً على ذلك لا يحل في القداسات ولا في المعمودية ولا هو مسحة إلهية تُعطى في الميرون.

وهكذا، تمت محاصرة التدبير في الزمان، ومن خلال السلطان الكهنوتي المزيَّف،

فهو الذي يعطي وليس الثالوث. هو سلطان زماني وليس سلطان الروح القدس الذي يعلن أبدية التدبير، ولذلك تم تدمير كل أساسات السرائر طوال ٤٠ عاماً بتخريبٍ منظَّمٍ للعقيدة، وصار الصراع ضد التعليم الأرثوذكسي يقوده صحافيون لا علماء اللاهوت، وأصبحت معركة الإيمان تُدار إعلامياً في حلقات الإعلام لا في جلسات تحقيق تجمع العارفين والدارسين، ومن أجل حشد شعبي لا من أجل الإيمان. وضاعت أموال الأيتام والأرامل على الإعلام بكل وسائله، لا على نشر التراث، ولا حتى على تطوير العشوائيات التي تجمع الذين طُردوا من منازلهم في بعض قرى صعيد مصر لكي يتم إفراغ الصعيد من الأقباط.

إذن، فقد اختفى البعد الأبدي والأساس الإلهي، كما أوضحنا، ولم يقتصر الأمر على عقيدة الفداء وحدها، بل امتد ذلك إلى تدمير عمل الروح القدس في النفس والجسد وفي السرائر. ولم يكن الهجوم على الشركة في الطبيعة الإلهية إلَّا هجوم الأريوسية القديمة والجديدة معاً على شركتنا في الله.

وحتى تدرك –عزيزي القارئ– مدى استفحال الفساد الذي دب في جسم التعليم، ومدى انتشار وتشعُّب الأريوسية الجديدة، وأن الأمر لا يقتصر على أساقفة المجمع، بل امتد إلى طول البلاد وعرضها، أدعوك أن تتأمل ما نشره قسٌّ من دمنهور يشغل منصب وكيل الكلية الإكليريكية فرع دمنهور على إحدى صفحات الفيسبوك، يهاجم فيها بكل ضراوةٍ، لا ما كتبناه نحن عن قرارات المجمع، بل بالأكثر، يهاجم ما يخدمه هو كل يوم أحد. وها هي عباراته كاملة غير مبتورة، ما عدا ما ذكره من شتائم وعبارات لا تليق بخادم يقف على مذبح رب القوات يطلب الرحمة لنفسه ولشعب الكنيسة:

يقول: "اللاهوت يا سادة روح والروح غير مادية وطالما أن الروح غير مادي فهو لا يتأثر بكل ما هو مادي".

ثم يقدِّم كلام نسطور تلميذ أريوس، فيقول: "**فنحن نأكل الخبز ونشرب الخمر المتحد باللاهوت**، فالذي يتأثر بالأكل المضغ والشرب هو الجسد والدم وبعد المناولة نصرفه بالماء، فهل اللاهوت يحتاج إلى أكل ومضغ .. إذن نحن نأكل جسد ودم

المسيح المتَّحد باللاهوت دون أن يتأثر اللاهوت بالأكل أو الشرب".

وينتهي إلى ذات كلام أريوس ونسطور معاً: "فإن كان الإفخارستيا يؤلهنا ويجعلنا مثل الله فلماذا نخطئ بعد التناول، فمن المفترض أن تتحول طبيعتنا لطبيعة معصومة لا تخطئ أبداً".

ثم تطرَّف أكثر، فقال: "وإن كان يؤله من يتناول منه، فهل يؤله الغير مستحقين"؟

كيف تعبِّر الصلوات عن السر المجيد؟

ونحن لن نتناول كل هذه العبارات بالرد، فقد سبق لنا أن أوضحنا عدم أرثوذكسيتها في أكثر من مجال. لكن عندما يستخدم هذا الكاهن عبارة: "**فنحن نأكل الخبز ونشرب الخمر المتحد باللاهوت**"، وهي عبارة غير موجودة في نصوص صلوات القداس التي يصليها على المذبح، فهذا يعني أنه ترك التسليم الكنسي المودع في صلوات الكنيسة، وكان أولى به أن يتمسك بما جاء فيه، ولكن يبدو أنه لم يتسلم منه شيئاً سوى حركات الطقس فقط، والدليل على ذلك أنه في صلوات القداس لا يوجد ذِكر **لخبز متحد بلاهوت الله الكلمة**، بل "الذبيحة الإلهية غير المائتة السمائية". ونحن نشرب الماء وقاراً لمحبتنا في عطية الحياة الأبدية والقيامة من الأموات حسب كلمات الرب، لا لكي "نصرِّف التناول" خوفاً من وقوع جوهرة منه من بين الأسنان؛ لأن الرب الذي غلب الموت لا يقع تحت طائلة الموت بعد قيامته، بل يقيم الموتى حسب قوله هو شخصياً: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٥٤).

ويبدو أن هذا الأب الكاهن صاحب هذه العبارات، يسير على ذات منهج المطران بيشوي، صاحب فتوى عدم تبرع الأقباط بدم للمسلمين، لأن دم المسيح تحول لديه إلى سلعة وقنية تعمل بقوة سحرية بلا إرادة وبلا معرفة وبلا إيمان، وقد نسى أو تناسي أنهم لو غطَّسوا مسلماً في بحيرة من دم المسيح، وكان لا يؤمن بالمسيح، فلن يفيد ولن يتأثر؛ لأن المسيح طَلَبَ الإيمان، وجحد الذات وحمل الصليب قبل التناول من

جسده ودمه.

أعود إلى القس وكيل الكلية الإكليريكية بدمنهور وأقول له: إن التسليم الكنسي ينبهك وأنت تعطي السر للمتناولين إلى أن تقول: "جسد ودم عمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين"، بل وأنت تمسك بالأسرار تقول: "وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". الأكل والشرب هنا له المعنى اللاهوتي الوارد على لسان الرب: "يكون فيَّ وأنا أكون فيه"، حسب النص القبطي، بل يقول الرب في عيد المظال لليهود: "وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب .. قال هذا عن الروح القدس" (يوحنا ٧: ٣٧-٣٨)، ولذلك نرتِّل في القطعة الخامسة من ثيؤطوكية يوم الجمعة:

- أيتها العذراء مريم والدة الإله
بستان العطر
ينبوع ماء الحياة المقدس".

وفي الشيرات الثانية، نقول:

- السلام للإناء الغير الفاسد الذي للاهوت
المعطي الشفاء لكل من يشرب منه".

وعندما قال الرب: "الخبز الذي **أنا** أعطي"، فقد غاب من وعي المصابين بالأريوسية، قوة كلمة "**أنا** أعطي .. هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم". وقد ظن هؤلاء الأريوسيون أيضاً أنهم يمكنهم أن يتألهوا بدون إرادة وبدون محبة، وبدون حرية، وهم في ظنهم هذا جعلوا الله مَثَله مثل امرأةٍ تُغتَصَب، يهجمون عليها فينالون منها ما يريدون. وما ظنهم هذا إلَّا لأنهم يعبدون طبيعة بلا أقانيم، بلا إرادة وبلا تمييز، وبالتالي يسهل عليهم أن يعتقدوا أن مَن يحل عليه الروح القدس يصبح إلهاً، فقد جَرَّدَوا الله نفسه من حرية الإرادة، وجعلوا الله مثل طعامٍ يأكلونه لكي يقتلون جوعهم.

أمَّا بقية الكلام السخيف، فهو ذات الكلام النسطوري الذي نطق به الأنبا شنودة الثالث، وهو ذات عبارات نسطور التي حُوكم عليها في مجمع أفسس ٤٣١، وهي إن الرب قال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي، ولم يقل خذوا كلوا هذا لاهوتي"، وفَصَلَ بين

اللاهوت والناسوت.

لقد سقنا هذا المثل للتدليل على ما آلت إليه حالة التعليم في الكنيسة القبطية، بعد ٤٠ عاماً غابت فيها الحرية والمحبة وحلَّ محلها البطش والقطع، وأوصلتنا في النهاية إلى بركة الوحل الشيطاني التي يتم فيها محاكمة اللاهوت إعلامياً، فقد جَبُنَ الذين لا شجاعة لديهم، ولا يملكون معرفةً أو دراسةً عن مواجهة الأب متى المسكين وعن مواجهتي، فكان أن استأجروا صحافيين لا علم لهم، يستكتبونهم، فزادوا الطين بِلةً.

ويبقى طلبٌ حائرٌ عن تحديث الخطاب الديني في الكنيسة، فقد جاء مؤتمر التعليم اللاهوتي الذي أداره قداسة البابا تواضروس الثاني ببراعة في مركز انافورا، وعرّى الحقائق، وكشف المستور، ولذلك لا تزال القرارات والتوصيات تصارع في أنفاق الدار البابوية لعلها ترى النور في يوم من الأيام.

الهرطقات تلغي اتحادنا بالثالوث:

أولاً: الهرطقات كلها تدير الكيان الإنساني نحو الإنسان، عندئذٍ يصبح الإنسان بلا علاقة سوى ما جاءت به الشريعة، وهو ما يظهر في حماس بعض الإكليروس في فرض شريعة التطهيرات على نساء الكنيسة. هذا الحماس يجد سببه الأول والأخير في عدم الإيمان بما جاء به الوسيط رأس الكنيسة الذي لا يمكن فصله عن باقي الأعضاء؛ لأن القيامة، أي قيامة الرب، هدمت الانفصال بكل أشكاله.

ثانياً: لم يتأصَّل بعد في فكر واعتقاد بعض الأساقفة أن الكنيسة جسد المسيح. وعندما يظهر أسقف في شبكة المعلومات ليقول إن النساء لا يحق لهن لمس أجساد القديسين، فهو يكشف عن أنه لا يؤمن أصلاً بأن النساء أعضاء في جسد المسيح الكنيسة، ولا يؤمن أنه في يسوع المسيح ليس ذكراً ولا أنثى (غلا ٣: ٢٨).

ثالثاً: وعندما يصبح حلول الروح القدس هو حلولُ قوةٍ، لا حلول الأقنوم، وتخرج فتاوى أريوسية تفصل الهبة عن الواهب، والعطية عن العاطي، والقوة عن الأقنوم، فإن كل ما يقوله الأساقفة أصحاب هذه الفتاوى التي لا يعرفها التاريخ الكنسي، ولا الحياة الليتورجية الأرثوذكسية، يؤكد أنهم هم أنفسهم بلا شركة في حياة الثالوث، وأن

ذِكر الثالوث على الألسنة، هو مجرد ذكر لفظ، لا إيمان بشركة. ولذلك، دعونا نلفت النظر إلى هذه النتائج المدمرة التي تحتاج لمجمع خاص من الأساقفة الأرثوذكسيين لكي يعلنوا إيمان أُم الشهداء نقياً بلا خرافات وفتاوى العصر الوسيط؛ لأن الاعتراف اللفظي خلوا من الإيمان بالشركة، يعني:

١- إنكار أُلوهية الرب والمخلص رغم الاعتراف اللفظي وخدمة الشفاه، وهو ما يظهر واضحاً بمحاصرة ما فعله الرب يسوع لأجلنا، وقَصر هذا التحول الكبير على ما قدَّمه للآب لأجلنا، عليه هو، تاركين ما يفعله ويخدمه فينا مثل عطية البنوة والقيامة من الأموات وغفران الخطايا، والأهم، عطية الروح القدس الذي وحده يفتح لنا ينبوع الحياة الإلهية للثالوث القدوس.

٢- إنكار شركتنا في أُلوهية المخلص، لا سيما في السر المجيد، وأن قَصر هذه الشركة على الناسوت وحده، والغاء الاتحاد بالرب يسوع المخلص ورأس الجسد، تعني أنه لا توجد قيامة لنا، ولا حياة أبدية؛ لأن الجسد لا يفيد شيئاً، كما قال الرب نفسه.

ومن الضروري أن نعود ونفتح ملف النسطورية — هرطقة نسطور الذي فَصَلَ بين يسوع والابن الكلمة. وهنا نذِّكر الأب الموقر وكيل الكلية الإكليريكية بدمنهور بالحرم الحادي عشر من حروم القديس كيرلس السكندري، الذي يقول:

"مَن لا يعترف أن جسد الرب هو معطي الحياة، وهو يخص الكلمة الذي من الله الآب، بل يقول إنه جسدٌ لواحدٍ آخر غيره، وأنه مرتبط به بحسب الكرامة، أي حصل فقط على حلول إلهي، ولا يعترف بالحري أن جسده معطي الحياة -كما قلنا سابقاً- لأنه صار جسد الكلمة الخاص به الذي يستطيع أن يهب الحياة لكل الأشياء، فليكن محروماً".

٣- ونختم بالحرم الثاني عشر، حيث يؤِّكد القديس كيرلس: "مَن لا يعترف أن كلمة الله تألم بالجسد، وصُلِب بالجسد، وذاق الموت بالجسد، وصار البكر من الأموات، حيث أنه الحياة **ومعطي الحياة كإله**، فليكن محروماً.

هذه الحروم لا يصلح معها أن يكون هناك اعترافٌ بالكلمات، دون أن يكون هناك إيمان واضح بأن الرب أعطانا حياته؛ لأنه لم يقل مَن يأكل جسدي فقط، بل

قـال: "مَـن يـأكلني يحيـا بي" (يوحنـا ٦: ٥٧)، ويـاء المخاطبـة في كلمـة "يـأكلني"، تعـني يأكلني "أنا"، وهو ضمير لا يعود على الناسوت أو اللاهوت، بل على الرب الذي قال: "أنا هو القيامة والحياة".

د. جورج حبيب بباوي